

## التدخل الروسي في الأزمة السورية

د. مایسة محمد مدني\*

### مقدمة

علي الرغم من اندلاع الثورة في سوريا والمطالبة باسقاط النظام منذ مارس 2011م وحتى الان في ظل مايعرف بثورات الربيع العربي لم يحسم هذا الامر بعد سواء من قبل النظام ( القضاء علي الثورة ) او من قبل الثوار (اسقاط النظام الحاكم) ويرجع ذلك الي تدخلات دولية في هذه الازمة وعلي راسها التدخل الروسي واستخدامه المتكرر لحق الاعتراض في مجلس الامن وتعطيل مشروع اي قرار يدين النظام السوري .

لذا تحاول هذه الدراسة الوقوف علي طبيعة العلاقات بين البلدين واسباب التدخل الروسي في الازمة الروسية من خلال عدة محاور اولها : مفهوم التدخل ، ثانيها : تاريخ العلاقات الروسية السورية ، ثالثها : موقف روسيا من الازمة السورية.

\* استاذ مساعد - كلية الدراسات الاقتصادية قسم العلوم السياسية-جامعة النيلين

## Abstract

Since the eruption of the revolution in the Syria and the people has demanded the change of the regime in march 2011, which called the Arabia spring and till, the revolution is still going on and in the same time the regime is still resisting the change. au that is due to many interference is Russia which it always uses it's vote in the (international security council ) against any solution requesting or demanding the step down of the regime or even to condemn the regime . and causation

So this study is trying to focus on the nature and causation of the relation between the two countries and why Russia interfere in this crisis and that through many axial factors.

The first factor is the concept of the interference it self.

The second factor is the history of the relations between the two countries.

The third factor is the position of Russia from this crisis

## مفهوم التدخل

نعني بالتدخل الممارسات الخارجية التي تؤثر علي الشؤون الداخلية لدولة أخرى ذات سيادة ، بينما يستخدم بعض المحللين هذا اللفظ إلي الإشارة للتدخل بالقوة في الشؤون الداخلية لدولة أخرى (1) . ويظهر هنا الاختلاف بين المعنيين إذ يشمل المعني الأول كل أنواع وأشكال التدخل " السياسية والاقتصادية والعسكرية " بينما يقتصر المعني الآخر علي التدخل عبر استخدام القوة العسكرية "التدخل العسكري" .

يعتبر مبدأ عدم التدخل من المبادئ الهامة في القانون الدولي العام ، ويقصد به عدم تدخل دولة أو مجموعة من الدول في الشؤون الداخلية أو

الخارجية لدولة أو مجموعة أخرى من الدول ، ويرتبط مبدأ عدم التدخل ارتباطاً وثيقاً بفكرة السيادة الوطنية للدولة ، إضافة إلي أنه أثر من آثار مبدأ السيادة أي مترتب عليه ونتيجة له ، وعليه فإن احترام سيادة الدولة واستغلالها يتطلب عدم التدخل في شئونها الداخلية من قبل أي دولة أخرى أو منظمة من المنظمات الدولية العالمية والإقليمية ، وقد نص علي ذلك ميثاق الأمم المتحدة في المادة (7/2) : " ليس في الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشئون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما ، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لان تحل بحكم هذا الميثاق ، علي أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير القمع الواردة في الفصل السابع " . (2)

يعتقد البعض أن التدخل عملية توازنية للحفاظ علي توازن القوى الضروري لاستقرار النظام الدولي ، وتتخذ هذه العملية شكلين هما : (3)

أ - التدخل الدفاعي الذي يهدف إلي منع إحداث تغيير في توازن القوى الموجودة وذلك لأنه سيضر بمصالح الدولة المتدخلة .

ب - التدخل الهجومي الذي يقاوم لإحداث تغيير في توازن القوى الموجودة وإحداث تغيير في نظام الحكم للدولة المستهدفة . بطريقة تضمن أكبر قدر ممكن من النتائج الإيجابية للدولة المتدخلة .

يري بعض المحللين السياسيين أن التدخل يشمل جميع الأنشطة الخارجية. التي تهدف إلي تغيير القادة السياسيين أو البناء الدستوري للدولة عن رسم السياسة الخارجية ، أي يهتم التدخل بالأنشطة الخارجية التي تكون ضد الرغبات القانونية للسلطة .

بينما يميز البعض بين التدخل والعدوان بناء علي معيار الشرعية ، فقد يكون هناك عمل ما يعتبر تنفيذه خرقاً للقانون الدولي ، بينما ينظر إليه من جانب آخر علي انه عمل مدعم بالشرعية السياسية ، التي يتم بمقتضاها إسناد القيم والمصالح بوصفها تعبر عن مدي الاستجابة الضرورية لاحتياجات الجماعة الدولية ، من اجل استقرار النظام الدولي وبالتالي يعتبر أي سلوك تمارسه دولة للسيطرة علي دولة أو دول أخرى ، بهدف تغيير النظم الداخلية وإيجاد نظم جديدة من خلال قوة الدولة وأدواتها . بما يحمي مصلحتها الوطنية ويعززها تدخلاً دولياً، وبناء علي ذلك تكون الشرعية الدولية بوصفها قبولاً عاماً ودولياً لإجراءات معينة، هي التي تحدد متى تتحول حالات التدخل الدولي إلي حالات عدوان دولي . (4)

بينما ينظر البعض للتدخل في ظل القانون الدولي علي انه عمل ديكتاتوري من جانب دولة ما في شئون دولة أخرى بهدف الإبقاء علي النظام السائد فيها أو تغييره ، ويمكن أن يكون استغلال هذا التدخل مشروع أو غير مشروع ، غير أنه عندما يتعلق باستقلال الدولة المعنية أو أراضيها وسيادتها يكون ممنوعاً بموجب القانون الدولي . (5)

كذلك يفضل الكثير من الفقهاء عند تناولهم لمفهوم التدخل الحديث علي حق البقاء أو الدفاع عن الذات ، من حيث ممارسة حق صيانة النفس كثيراً ما يترتب عليه التدخل في شئون دولة أخرى ، ومن هذا المنطلق فإن التدخل يقصد به تعرض دولة لشئون دولة أخرى ، بطريقة استبدادية بغرض الإبقاء علي الأمور الراهنة للأشياء أو تغييرها ، وقد يحصل هذا النوع من التدخل بحق أو بدونه ، غير أنه في كل الحالات يمس الاستقلال الخارجي أو السيادة الإقليمية للدولة المعنية، ولذلك فإنه يمثل أهمية كبيرة بالنسبة للوضع الدولي للدولة .

كذلك يوصف حق صيانة النفس من قبل الدولة التي تمارسه ، علي أنه حق من الحقوق الأساسية للدول ، في حين تصفه الدول الأخرى بأنه تدخل خطير يتحدى سلطة القانون الدولي ، فهو يمثل صراعاً بين مبدئين هما حق صيانة النفس وحق الاستقلال .

بناء علي ذلك يمكن تقسيم التدخل إلي تدخل داخلي وهو أن تتدخل دولة بين الأطراف المتنازعة في دولة أخرى سواء كان ذلك التدخل لصالح الحكومة الشرعية أم لصالح الثوار ، تدخل خارجي هو أن تتدخل دولة في علاقات دولة أخرى وعادة تكون هذه العلاقات عدوانية ، تدخل عقابي نعني به حالة القمع التي لا تصل إلي الحرب بسبب ضرر قامت به الدول المتدخل في شئونها ، التدخل الهدام وذلك للدعاية وغير ذلك من الأعمال التي مارسها دولة ضد أخرى بقصد استثارة ثورة أو صراع مدني لصالحها (6).

أيضاً يعتبر التدخل بأنه تعرض دولة للشئون الداخلية أو الخارجية لدولة أخرى دون أن يكون لهذا التعرض سند قانوني ، والغرض من التدخل هو إلزام الدولة المتدخل في أمرها بإتباع ما يمليه عليها في شأن من شئونها الخاصة الدولة أو الدول المتدخلة ، مما يشكل التدخل تقييداً لحرية الدولة واعتداء علي سيادتها واستقلالها .

من خلال استعراض التعاريف المختلفة لمفهوم التدخل يمكن تقديم تعريف إجرائي ، يقوم علي عدة عناصر أهمها أن التدخل عمل إرادي ومنظم . تقوم به وحدة سياسية دولية سواء كانت دولة أو مجموعة من الدول أو منظمة دولية عالمية أو إقليمية معتمدة علي وسائل الإكراه والضغط ، التي تشمل جميع أشكال الضغط السياسي والاقتصادي والعسكري بغرض تغيير بنية السلطة في

الدولة المقصودة أو الحفاظ عليها ، أو بهدف إعادة توجيه سلوك السياسة الداخلية أو الخارجية لها .

### أشكال التدخل من حيث القائمين به :

تتعدد أشكال التدخل فقد يكون فردياً أو جماعياً ، وقد يكون مباشراً أو غير مباشر علي النحو التالي :

#### التدخل الفردي :

نعني به قيام دولة بمفردها بالتدخل في شئون دولة أخرى ، عادة ما تكون اضعف منها بغرض تحقيق أهداف معينة كالأهداف السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، ... الخ ، ويجب أن تتعارض أهداف التدخل مع مصالح وأهداف الدولة المتدخل في شئونها حتى يصبح تدخل بالمعني الحقيقي ، ومن أمثلة ذلك التدخل الأمريكي في هايتي عام 1930م ، وبنما 1954م ، وكوبا 1956م ، والدومينكان 1965م ، وجرينادا 1982م ، ونيكاراجوا 1983م .

#### التدخل الجماعي :

قيام مجموعة من الدول بالتدخل في شئون دولة أخرى وذلك لتحقيق أهداف ومصالح مشتركة ، ولا يكتسب هذا التدخل صفة الشرعية إلا إذا كان دفاعاً عن النفس أو لمساعدة حكومة شرعية قائمة بناء علي طلب منها دون ضغط أو إكراه لمواجهة عدوان خارجي وليس لقمع معارضة خارجية<sup>(7)</sup>. ومثال لذلك العدوان الثلاثي علي مصر عام 1956م وتدخل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا في شمال العراق 1991م بذريعة إقامة مناطق آمنة للأكراد .

### التدخل المباشر والتدخل غير المباشر :

قد يكون التدخل ظاهراً وصريحاً " مباشر " سواء كان بالطرق الدبلوماسية أو العسكرية ، وقد يكون خفياً وغير ظاهر " غير مباشر " ، كأن ترسل الدولة المتدخلة أشخاص داخل الدول المراد التدخل فيها ، للقيام بأعمال غير قانونية ضد نظام الحكم أو عن طريق تقديم الدعم للمعارضة ومساندتها علي الإطاحة بنظام الحكم .

### أهداف التدخل :

تتعدد أهداف التدخل فقد تكون أهداف سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو إنسانية وغير ذلك .

**التدخل السياسي :** يتمثل في محاول دولة ما أن تفرض سياستها علي دولة أخرى، ويأخذ هذا التدخل شكل رسائل شفوية أو طلبات كتابية سواء كان ذلك سراً أو علنية أو الدعوة لعقد مؤتمر دولي لإقرار المطالب السياسية للدولة المتدخلة (8).

**التدخل العسكري :** أكثر أشكال التدخل وضوحاً وعلانية وتتعدد أسبابه ، إلا أن الأسباب الاقتصادية تقف علي قمة هذا الشكل من التدخل ، فضلاً عن الأسباب السياسية مثل تدخل الولايات المتحدة وبريطانيا في العراق عام 2003م .

### التدخل الاقتصادي : يأخذ أحد شكلين هما :

أ - فرض الشروط المجحفة علي الدول الفقيرة والضعيفة من خلال المنظمات الدولية الاقتصادية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية .

ب - الضغوط الاقتصادية التي تتم من خلال العلاقات الثنائية المباشرة بين الدول الغنية والدول الفقيرة عبر اتفاقيات تركز هذا التدخل وتقننه (9) .

**التدخل الإنساني :** أدى الاهتمام الدولي لحقوق الإنسان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلي اهتزاز المبادئ التقليدية الأساسية للقانون الدولي ، فقد أصبح هذا القانون الذي ينظم العلاقات بين الدول لا يتماشى مع التطورات الجديدة التي أصبح فيها الفرد يتمتع بحماية النظام الدولي ، فقد سمحت الدول الغربية لنفسها بالتدخل العسكري الإنساني في العديد من الدول منذ أواخر القرن التاسع عشر مستندة في ذلك إلي فكرة الحماية الإنسانية والحماية الدبلوماسية ، وبعد دخول مسألة حقوق الإنسان إلي نطاق القانون الدولي ثار الخلاف القانوني حول جواز التدخل في الشؤون الداخلية للدول لمنع انتهاك حقوق الإنسان ما بين مؤيد للتدخل وما بين رافض له .

### مشروعية التدخل

اضطر الفقهاء إلي اعتبار التدخل عملاً غير مشروع في الأصل مع التسليم بان هناك حالات يجوز فيها التدخل علي سبيل الاستثناء إذا وجدت أسباب مشروعة تبرر ذلك وهذه الحالات هي :

### التدخل دفاعاً عن حقوق الدولة :

يجب علي كل دولة عند مباشرة حقوقها عدم المساس بحقوق الدول الأخرى وفي حالة إساءة دولة في استعمال حقوقها بالقدر الذي يلحق الضرر بدولة أخرى، يجوز لهذه الدولة المتضررة استناداً إلي حقها في البقاء والدفاع عن كيانها أن تتدخل في الدولة الأولى لتدفع عنها ما يهددها وأن تحول دون



وقوعه ومن ثم يعتبر التدخل بهذا الشكل نوع من أنواع العقاب الذي يحمي حقوق الدول من أي انتهاك .

بناء علي ما سبق فإن هنالك حالات يجوز فيها التدخل مثل قيام دولة معروفة باتجاهاتها العدوانية إلي زيادة تسليحها بدرجة تفوق متطلباتها للدفاع عن نفسها ، كذلك في حالة قيام ثورة في دولة ما تشكل مصدر خطر علي سلامة الدول المجاورة لها ، وأيضاً في حالة تصريح دولة علناً بنيةها علي بسط نفوذها علي جيرانها أو في حالة قيام مؤامرة في إقليم دولة بهدف إشعال ثورة في دولة مجاورة أو الإطاحة بنظام الحكم القائم فيها .

#### التدخل لحماية حقوق ومصالح رعايا الدولة :

من واجب الدولة الدفاع عن رعاياها في الدول الأجنبية إذا ما تعرضت حقوقهم ومصالحهم للخطر أو كانوا محل معاملة أو اعتداء غير مشروع ولم تحمهم السلطات الأجنبية . غير أن الدولة ليست مجبرة علي أن تمنح حمايتها الدبلوماسية إلا إذا كان قانونها الداخلي يلزمها بذلك ، وأن فكرة تبني الدولة ادعاء مواطنيها وتجعل منه قضيتها هي لا تغير من جوهر الحق ، وذلك لان الحماية مضافة علي الحق العائد للفرد المحمي<sup>(10)</sup>. وما يبرر الحماية الدبلوماسية هو وجود تصرف غير مشروع من وجهة نظر القانون الداخلي والقانون الدولي . وأن الحماية الدبلوماسية إجراء استثنائي لا يجوز الالتجاء إليه إلا إذا ثبت أن وسائل الحماية العادية التي ينظمها القانون الداخلي غير كافية ، ويجب أن تمارس في نطاق الإطار الذي يضعه القانون الدولي لتسوية المنازعات .

كذلك لا يجوز لدولة أن تتدخل في شئون دولة أخرى لمجرد أنها لم تدفع الديون التي عليها لرعاياها ، ويعود ذلك إلي أن الشخص الذي يقوم بإقراض دولة

أجنبية يجب عليه التأكد أولاً من مواردها ومقدراتها المالية ، نظراً لأن هذه الدولة تتمتع بشخصية قانونية ذات طابع خاص لا يستطيع اتخاذها نفس الإجراءات التي يتخذها ضد المدين العادي .

### التدخل دفاعاً عن الإنسانية :

يجب بعض الفقهاء التدخل للدفاع عن الإنسانية في حالة اضطهاد دولة لرعاياها والاعتداء على حياتهم أو على أموالهم أو عدم حمايتها لهم من هذه الاعتداءات . وحثهم في ذلك على الدولة واجب عام يفرض عليها أن تعمل متضامنة على منع الإخلال بما تقضي به قواعد القانون الدولي ومبادئ الإنسانية من احترام حياة الفرد وحرية أيّاً كانت جنسيته أو ديانتته .

### التدخل في حالة انتهاك دولة لقواعد القانون الدولي :

يعني ذلك أن الدولة المتدخل فيها قد بدأت بالتدخل غير المشروع في شؤون دولة أخرى ، وهذه الحالة يكون التدخل ضد التدخل مشروع على أساس أن التدخل الأول غير مشروع لأنه يلحق الضرر بمصالح الدولة التي تقوم بالتدخل المضاد أو يضر بمصالح الجماعة الدولية بصورة عامة .

### التدخل الجماعي :

هو التدخل الذي تقوم به عدة دول مجتمعة ويعتبر تدخلاً مشروعاً إذا كان يسعى إلى الحفاظ على مصلحة عامة مشتركة وليس لتحقيق مطلب خاص ببعض الدول . ومن الملاحظ أن ذلك يشكل خطورة كبيرة لأنه يطلق يد الدول الكبيرة في التدخل في شؤون غيرها من الدول كلما اتاحت لها الفرصة ذلك .

### التدخل من اجل الديمقراطية :

يري البعض أن الفقه الغربي يميل للتدخل من اجل الديمقراطية من خلال ميله للتدخل الإنساني ، فقد شهدت فترة ما بعد الحرب الباردة تغيرات عديدة ، حيث ازدادت المطالب بتبني الديمقراطية وحقوق الإنسان من جانب النظام الرأسمالي الليبرالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، الذي وجد في نفسه النموذج الأمثل لمثل هذه المفاهيم مما يعطيه حق التدخل للحكم بالديمقراطية ضد النظم الحكومية القائمة ، ومن ثم دعا إلي تدخل المنظمات الدولية لتحقيق ذلك بالقوة خاصة أن النظم التي لا تحكم بالديمقراطية الغربية من وجهة نظرهم نظم غير شرعية الأمر الذي يستوجب تغيير هذه النظم (11) .

### تاريخ العلاقات الروسية السورية :

شكل افتتاح القنصلية الروسية في دمشق أواخر القرن الثامن عشر نقطة انطلاق للعلاقات الرسمية بين روسيا وسوريا ، وبعد مرور مائة عام قامت روسيا بفتح قنصلية لها في ميناء اللاذقية. (12)

وبعد انهيار الحكم القيصري في روسيا واندلاع ثورة البلاشفا عام 1917م وظهر ما يعرف بالاتحاد السوفيتي ، تبنى سياسة خارجية تقوم على العزلة الدفاعية وعدم الاشتراك في فعاليات خارجية تشغل الدولة عن نشاطها وخططها الداخلية. وقد تزامن ذلك مع خضوع أغلب الدول العربية للاستعمار الغربي الذي كان يسيطر على إدارة شؤون الدولة الداخلية والخارجية ، الأمر الذي انعكس سلباً على العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وهذه الدول.

وعمل الاتحاد السوفيتي على إفشاء كل المعاهدات السرية حول تقسيم الدول العربية التي أبرمت بين روسيا القيصرية وبقية الدول الغربية الأخرى

خاصة بريطانيا وفرنسا (اتفاقية سايكس بيكو التي وقعتها روسيا مع فرنسا وبريطانيا عام 1916م قبل الثورة في روسيا والتي نصت على تقسيم أراضي وممتلكات الدولة العثمانية وما تسيطر عليه من الدول العربية بين كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا) (13) .

يبدو أن الاتحاد السوفيتي سعى من وراء ذلك الى محاولة كسب الدول العربية الى جانبه ومحاولة اقناعه لها بانه يحترم حقوق الشعوب المستضعفة وبإمكانه مساعدتهم في نضالهم من أجل الاستقلال.

فيما يتعلق بنشأة العلاقات بين سوريا والاتحاد السوفيتي فإنها تأثرت في بدايتها بموقف الاتحاد السوفيتي من مشكلة الاسكندرونة (تقع في الزاوية الشمالية الغربية من سوريا وتعد الميناء لمدينة حلب) التي أقرت عصابة الأمم تسليمها الى تركيا عام 1939م ، فقد أيد الاتحاد السوفيتي قرار العصابة بشدة ، وذلك لغرض تأمين علاقات جيدة مع تركيا لضمان مرور السفن السوفيتية في البحر الأسود عبر المضائق التركية وهي المنفذ الوحيد للاتحاد السوفيتي الى البحر الأبيض المتوسط(14).

غير أن التطورات التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية والتي شارك فيها الاتحاد السوفيتي الى جانب دول التحالف أدت الى تراجع القوى الدولية التقليدية (فرنسا وبريطانيا) وحصول أغلب الدول العربية على استقلالها ومنها سوريا في عام 1944م ، فقد كان الاتحاد السوفيتي من أوائل الدول التي اعترفت باستقلالها ، كما اعلن رفضه تفوق نفوذ أي دولة أوربية في سوريا.

كان هدف الاتحاد السوفيتي من ذلك الإعلان هو معارضة سياسة مناطق النفوذ ، كما أن سيطرة القوى الأوربية على سوريا سوف يشكل خطراً على المصالح السوفيتية في المنطقة. كذلك بعث وزير خارجية سوريا في عام

1944م برسالة الي وزير خارجية الاتحاد السوفيتي يقترح فيها اقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين .

وقد كان موقف الاتحاد السوفيتي من ضرب فرنسا لدمشق والمدن السورية الأخرى بالطائرات في عام 1945م أن بعث برسالة للحكومة الفرنسية احتج فيها على هذا القصف ، كما اقترح على الدول الكبرى المتحالفة اتخاذ التدابير اللازمة لوقف العمليات الحربية في سوريا وحل الخلافات بينهما بالطرق السلمية<sup>(15)</sup>. وقد انعكس هذا الموقف السوفيتي بشكل إيجابي على علاقاتها مع سوريا.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى شهدت منطقة الشرق الأوسط صراعاً دولياً بين معسكرين جديدين هما المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي اللذان حلا محل القوى التقليدية بعد انسحابها من المنطقة ، الأمر الذي نتج عنه انقسام الدول العربية بين تأييدها للمعسكر الغربي أو المعسكر الشرقي والبعض الآخر أتخذ الحياد (عدم الانضمام لأي من المعسكرين)<sup>(16)</sup>.

وفيما يتعلق بالجانب السوري فقد اتاح تدهور العلاقات بين سوريا و القوى الاستعمارية في بداية الخمسينات الي تحقيق تقارب مبدئي مع الاتحاد السوفيتي ولاسيما في ظل الاعتداءات الاسرائيلية على حدودها ذات التأييد الغربي لها ، الأمر الذي يتطلب الحاجة الي الحصول على السلاح لمواجهة هذه الاعتداءات.

وفي هذه الفترة تعززت العلاقات بين سوريا والاتحاد السوفيتي لتصل الي مرحلة التحالف الاستراتيجي وخاصة بعد وصول الرئيس السابق حافظ الاسد الي سدة الحكم في عام 1970م واعلانه انطلاق ما عرف بالحركة التصحيحية.

وبعد طرد السوفيت من مصر عام 1971م اضطر الكرملين للبحث عن بدائل أخرى في منطقة الشرق الأوسط في تلك الفترة ، وقد كان كل من العراق وسوريا اللذان يحكمهما حزب البعث العربي الاشتراكي أفضل تلك البدائل ، فقام الاتحاد السوفيتي بتقديم دعم عسكري وضمنان تدفق السلاح الى هذين البلدين ، كما قام بتقديم دعم سياسي كبير لسوريا في المحافل والمنابر الدولية فضلاً عن مساهمته في بناء البنية التحتية للاقتصاد السوري لاسيما في مجالات الطاقة والتعدين والري<sup>(17)</sup>.

كذلك كان يقدم الاتحاد السوفيتي لسوريا دعماً عسكرياً كبيراً لمواجهة اسرائيل المدعومة من جانب الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، كما أنشأ مركز الدعم المادي التقني للأسطول البحري السوفيتي في ميناء طرطوس السوري<sup>(18)</sup>. أيضاً أسس الاتحاد السوفيتي جمعية العلاقات الثقافية مع الخارج لعموم الاتحاد السوفيتي في عام 1925م وتقوم سوريا بإرسال المئات من الطلاب السوريين للدراسة في الاتحاد السوفيتي سابقاً وروسيا الآن في شتى المجالات ، كما عززت الروابط الثقافية عن طريق سفارتي البلدين وخصوصاً القنصليات الروسية والمركز الثقافي في مدينة دمشق وجمعية الصداقة السورية الروسية<sup>(19)</sup>.

من الملاحظ ان الدعم الروسي لسوريا توقف في فترة التسعينات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، ثم استأنف مرة أخرى في عهد الرئيس فلاديمير بوتين وذلك باعادة افتتاح القاعدة البحرية الروسية في ميناء طرطوس وعقد الصفقات العسكرية مع سوريا والتي تشمل خبراء عسكريين واسلحة وتجديد عتاد الجيش السوري من أسلحة حديثة.

## موقف روسيا من الأزمة السورية

منذ قيام الثورة السورية والمطالبة برحيل الرئيس السوري بشار الأسد ونظامه في مارس 2011م فشلت كل أنواع الضغوط من قبل جامعة الدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي على نظام الأسد بوقف الأعمال العدائية ضد الشعب السوري وذلك بسبب الموقف الروسي والصيني المشترك الداعم للنظام في سوريا من خلال استخدام حق الفيتو (الاعتراض) أكثر من مرة بهدف تعطيل أي قرار دولي يقضي بإدانة استعمال النظام السوري للقوة العسكرية المفرطة للقضاء على الثورة.

ويفسر بعض المحللين الموقف الروسي المساند للنظام السوري من عدة زوايا مختلفة أهمها :

### أولاً : المصالح الاقتصادية

بدا التعاون بين روسيا (الاتحاد السوفيتي سابقاً) وسوريا منذ عام 1957م ، فقد قام الاتحاد السوفيتي بتشديد 63 مشروعاً ومن أهمها (20) :

- 1- سلسلة المحطات الكهربائية على نهر الفرات والعقدة المائية مع المحطة الكهربائية (البعث)
- 2- المنشأة المائية مع المحطة الكهرمائية (تشرين) والمرحلة الأولى للمحطة الكهروحرارية (تشرين)
- 3- مد 105 ألف كيلومتر من السكك الحديدية و 307 ألف كيلومتر من خطوط الكهرباء.
- 4- بناء عدد من منشآت الري

- 5- اكتشاف الاتحاد السوفيتي لعدد من حقول النفط في شمال شرقي سوريا
- 6- انشاء خط انابيب لنقل المشتقات النفطية بين حمص وحلب بطول 180 كلم.
- 7- انشاء معمل للاسمدة الكيماوية

غير انه من الملاحظ ان حجم التجارة المتبادلة بين روسيا وسوريا انخفض في مطلع التسعينات إلا أنه ازدهر مرة أخرى في بداية الألفية الثانية والجدول التالي يوضح هذه التطورات التي طرأت على حجم التبادل التجاري بين البلدين.

#### جدول رقم (1)

السنة	قيمة الصادرات السورية الى الأسواق الروسية	قيمة المستوردات السورية من الأسواق الروسية
2000	34 مليون دولار	131 مليون دولار
2002	14 مليون دولار	122 مليون دولار
2005	9 مليون دولار	275 مليون دولار
2006	46 مليون دولار	1.1 مليار
2010	33 مليون دولار	1.1 مليار

الجدول من تصميم الباحث

وبالتالي فإن سوريا تمثل سوقاً هاماً للبضائع والتجارة الروسية في المنطقة.

ويتم متابعة علاقات التعاون التجاري والاقتصادي والعلمي والفني بين البلدين عن طريق الاجتماعات الدورية للجنة المشتركة السورية الروسية للتعاون التجاري والاقتصادي والفني التي تعقد سنوياً بالتناوب في كل من دمشق وموسكو<sup>(21)</sup>.



ايضاً تم توقيع العديد من الاتفاقيات بين سوريا وروسيا خلال الزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس بشار الاسد الى روسيا في الفترة من 24-27/1/2005م ومن أبرزها (22) :-

- اتفاق حول التشجيع والحماية المتبادلة للاستثمارات
- اتفاق حول النقل الدولي الطرقي بالسيارات
- اتفاق تعاون في مجال النفط والغاز بين وزارة النفط والثورة المعدنية السورية وشركة سيوزنفت غاز الروسية.
- اتفاق بين وزارة النفط والثورة المعدنية في سوريا مع شركة سيوزنفت غاز للتكنولوجيا الحديثة في روسيا بهدف بناء مصنع لإنتاج الأنابيب البازلتية.
- مذكرة الاجتماع الموسع لمجلس الأعمال السوري الروسي.
- اتفاق تعاون مصرفي بين مصرف سوريا المركزي والمصرف الوطني للتجارة الخارجية في روسيا.
- اتفاقية تسوية المديونية بين الحكومة السورية والحكومة الروسية
- مذكرة تفاهم في مجال المواصفات والمقاييس.
- عقد لإنشاء معمل لمعالجة الغاز شمال المنطقة الوسطى بين الشركة السورية للغاز وشركة ستروي ترانس غاز الروسية

- مذكرة تفاهم للتعاون المشترك بين مجلس رجال الاعمال السوري الروسي واتحادات غرف التجارة ، الزراعة ، السياحة ، الملاحة البحرية السورية.
  - اتفاق للتعاون في مجال مكافحة الاتجار غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية والمواد المشككة لها.
  - مذكرة تفاهم للتعاون في مجال البحوث العلمية والزراعية ووزارة الزراعة والاصلاح الزراعي والاكاديمية الروسية للعلوم الزراعية في دمشق.
- كما تم الاتفاق خلال زيارة الرئيس الروسي الى دمشق خلال الفترة من 10 - 11 - 2010م على الآتي : (23)
- 1- اتفاق حول التعاون العلمي التقني.
  - 2- اتفاق بين وزارة الاتصالات والثقانة في سوريا ووزارة الاتصالات والاعلام العام في روسيا للتعاون في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
  - 3- اتفاق للتعاون في مجال النقل الجوي.

### الديون السورية لروسيا :

قبل انهيار الاتحاد السوفيتي كان يورد لسوريا كميات كبيرة من الأسلحة وغيرها من السلع بكميات كبيرة ، الأمر الذي نتج عنه تراكم الديون على سوريا بشكل كبير، ففي عام 1992م بلغ دين سوريا لروسيا اكثر من 13 مليار دولار ، وقد أفرزت زيارة الرئيس بشار الأسد الى روسيا في عام

2005م لحل أزمة الديون السورية عن توقيع البيان الروسي - السوري المشترك حول تعميق علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين واتفاقية لتسوية المديونية السورية والقروض التي تم تقديمها الى سوريا من قبل الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي هذا الصدد قامت روسيا بشطب 80% من هذه الديون (24).

### ثانياً : سوريا أصبحت ساحة صراع بين القوى الدولية

يرى بعض المراقبين للازمة في سوريا انها اصبحت تمثل ساحة للصراع غير المباشر بين الولايات المتحدة وحلفائها من الدول الأوربية من جهة وروسيا وحليفاتها الصين من جهة ثانية ، بدليل ان روسيا والصين أصبحتا تمثلان عائقاً أمام اتخاذ أي قرار دولي للتدخل في سوريا وخاصة عندما استخدمتا حق الاعتراض (الفيتو) في مجلس الأمن ضد تبني مبادرة جامعة الدول العربية لمرحلة انتقالية في سوريا تقضي بخروج الأسد (25).

تسعى روسيا من وراء ذلك الى اعادة وضعية القطبية الثنائية للنظام الدولي بعدما انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالساحة الدولية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور ما يعرف بالاحادية القطبية ، وبالتالي فان روسيا تسعى لإعادة دورها على الساحة الدولية كقوة فاعلة. وخاصة ان الولايات المتحدة ومنذ سقوط الاتحاد السوفيتي تسعى لمحاصرة روسيا سياسياً واستراتيجياً لمنع قيامها كقوى فاعلة مرة أخرى ويظهر ذلك بشكل واضح من خلال محاولة حلف الناتو ضم معظم دول شرق اوربا ، وسعي الولايات المتحدة الأمريكية لنشر نظم الدفاع الصاروخي لتطويق روسيا ، وفي المقابل تحاول روسيا الوقوف ضد السياسات الأمريكية اتجاهاً فتدخلت في جورجيا واورانيا عام 2008م لمنع ثورات اجبتها الولايات المتحدة ، كما تسعى

روسيا لإنشاء كيانات تحالفية خارج النطاق الغربي كمنطقة شنغهاي ومنظمة دول البريكس (26).

في تقرير صادر عن Paper Independence الروسية في فبراير 2007م عن مشروعات أمريكية لنشر نظم مضادة للصواريخ في قواعد عسكرية في الاسكا وكاليفورنيا لغلق البوابة الشرقية لروسيا ، والسعي الأمريكي في الفترة ذاتها لنشر نظم صاروخية في منطقة القوقاس ليشكل عائقاً كبيراً أمام القوة النووية الاستراتيجية الروسية (27).

يبدو ان روسيا بعد تولي فلاديمير بوتين الرئاسة عام 2000م بدأت في ممارسة نشاطات متنوعة لمواجهة هذا التطويق وما يدل على ذلك التدخل الروسي في جورجيا في أغسطس 2008م، و الذي يمثل مؤشراً واضحاً على الاستراتيجية الروسية للحيلولة دون وجود الناتو في جورجيا التي كان لديها طموح لتطوير اتفاقية الشراكة من اجل السلام الموقعة مع الناتو عام 2005م نحو العضوية الكاملة (28).

كذلك تمثل كل من سوريا وإيران اللتان تقعان غرب آسيا أهمية كبيرة لروسيا ، فمن وجهة نظر بوتين فإنه يعتبرهما ضماناً للاستقرار في المناطق القريبة من الحدود الروسية (29).

### ثالثاً : مبيعات السلاح لسوريا

تعتبر من أهم المصالح الحيوية بين سوريا وروسيا ، فقد بلغت مشتريات السلاح من روسيا ما يقارب مليار ومائة مليون دولار وفقاً لإحصائيات عام 2010م ، كما توجد عقود مبرمة بين سوريا والشركات الروسية المتخصصة في صناعة الأسلحة حيث تعتبر سوريا شريكاً أساسياً لروسيا في مجال إستيراد

السلاح الروسي ، ففي عام 2011م بلغت وارداتها من السلاح حوالي 15% ، أيضاً تستورد سوريا من روسيا طائرات (ميغ 29) المقاتلة وطائرات التدريب (ياك 130) وصواريخ دفاع جو من طراز (بانتسير ) و (بوك - م ح) او ما يعرف بسام 17 ، اضافة الى دبابات ( ت 72) وصواريخ جواله للدفاع البحري من طراز (جوخنت وباستيون)، وتقدر قيمة هذه الصفقات بما يقارب ستة مليارات دولار<sup>(30)</sup>.

كانت روسيا تتوقع ارتفاع قيمة العقود الجديدة مع سوريا بنسبة تفوق فيها ما خسرت من توقف عقودها مع ليبيا بعد الثورة ، وبالتالي إذا سقط النظام السوري فسوف يشكل خسائر فادحة لها.

#### رابعاً : قاعدة طرطوس

من الملاحظ ان روسيا لديها نقطة ضعف منذ بدايتها كقوة عظمى في القرن الثامن عشر وهي عدم قدرتها للوصول الى المياه الدافئة ، فكل ممراتها متجمدة (القطب الشمالي و بحر البلطيق) وقد سعت قديماً لمعالجة هذا الإشكال بالصراع مع الدولة العثمانية لتصل الي البحر الأسود وتحتل قاعدة إزك العثمانية<sup>(31)</sup> ومن ثم أصبح إمكانية الحصول علي منفذ بحري أعلى المياه الدافئة أمر بالغ الأهمية لروسيا في تاريخها وحاضرها ومستقبلها.

وفي هذا السياق قامت روسيا بتأجير قاعدة طرطوس البحرية في فترة سبعينات القرن الماضي من الرئيس الراحل حافظ الأسد ، بموجب اتفاق بينهما. يلاحظ أن روسيا كان لديها العديد من القواعد البحرية في كل من مصر وأثيوبيا وفيتنام ، غير انه لم يبقى منها سوى قاعدة طرطوس الأمر الذي يضفي عليها أهمية استراتيجية بالنسبة للمراكب البحرية الروسية الموجودة في البحر الابيض المتوسط. صنة البحرية في هذه المناطق

كذلك تستخدم قاعدة طرطوس البحرية لعدة اغراض مثل مكافحة القرصنة البحرية في هذه المناطق و شحن الاسلحة والذخائر الروسية للقوات السورية .

### خاتمة :

تسعي روسيا من خلال تدخلها في الازمة السورية بمساندتها لنظام الاسد وحمائته بشتي الطرق استنادا علي العلاقات السياسية ، الاقتصادية ، العسكرية القائمة بين البلدين و المصالح الروسية في سوريا والتي ترجع الي فترات تاريخية طويلة ، فضلا عن استخدامها لحق الاعتراض في مجلس الامن ضد كل مشروعات القرارات لادانة النظام السوري واتخاذ اجراءات رادعة ضده ، الامر الذي ادي الي صعوبة اسقاط نظام بشار الاسد ووقف انتهاكاته لحقوق المدنيين.

### النتائج :

1/ علي الرغم من ان مبدا عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول هو في الاصل غير مشروع الا ان فقهاء القانون الدولي اجازوه في حالات استثنائية متفق عليها.

2/ مازالت روسيا تدعم نظام الاسد علي الرغم من الممارسات العدوانية التي يقوم بها ضد شعبه انطلاقا من تاريخ العلاقات القديمة بين البلدين .

3/ تمثل سوريا اهمية كبيرة لروسيا في المجالات السياسية و الاقتصادية والعسكرية ، فضلا عن انها من اهم حلفائها في المنطقة .

4/ يبدو ان روسيا متخوفة من وصول نظام جديد في سوريا خلفا لنظام بشار الاسد الذي يحمي مصالحها ،الامر الذي يشكل خطرا علي مصالحها في سوريا بشكللا خاص و المنطقة بشكللا عام.

5/ تسعي روسيا من خلال مساندتها للنظام في سوريا الي اعادة ما يعرف بالتعددية القطبية في العلاقات الدولية و اضعاف السيطرة الامريكية علي شؤون المنطقة.

#### التوصيات :

1/ علي دول المنطقة حل الازمة في سوريا بعيدا عن التدخلات الخارجية الغربية و علي راسها روسيا و التي تسعي لخدمة مصالحها .

2/ علي روسيا اعادة حساباتها اتجاه نظام الاسد لانه فاقد للشرعية و غير ممثل للشعب السوري.

3/ يجب علي المعارضة ايجاد وسيلة لاقناع روسيا بوقف دعم النظام وذلك بتظمينها علي مصالحها في سوريا و من ثم امكانية اسقاط النظام.

## الهوامش والمراجع :

- (1) جوزيف س . ناي الابن ، ت. أحمد الجمل ، المنازعات الدولية ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، القاهرة ، 1997م ، ص 196 .
- (2) ميثاق الأمم المتحدة ، الفصل الأول [www.un.org](http://www.un.org)
- (3) إسماعيل صبري مقلد ، العلاقات السياسية والدولية ، دراسة في الأصول والنظريات ، دار السلاسل ، الكويت ، 1985م ، ص 276 - 277 .
- (4) أحمد فؤاد رسلان ، نظرية الصراع الدولي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986م ، ص 164 - 170 .
- (5) جبر هارد فان جلان ، ت. عباس العمر ، القانون بين الأمم : مدخل إلي القانون الدولي العام ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1970م ، ص 179 - 180 .
- (6) محمد طلعت الغنيمي ، الوجيز في قانون السلام ، مصدر سابق ، ص 188.
- (7) مصطفى أحمد أبو الخير ، أزمات السودان الداخلية والقانون الدولي المعاصر ، ايتراك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006م ، ص 135 .
- (8) ياسر خضر الجويش ، مبدأ عدم التدخل واتفاقيات تحرير التجارة العالمية ، د. ن ، القاهرة ، 2001م ، ص 158 .
- (9) شريف أحمد خاطر ، حق الدفاع الشرعي باستعمال الأسلحة النووية في القانون الدولي الجنائي ، د. ن ، الزقازيق ، 2005م ، ص 238 .
- (10) محمد طلعت الغنيمي ، الغنيمي الوجيز في قانون السلام ، مصدر سابق ، ص 190.
- (11) ياسر الجويش ، مبدأ عدم التدخل واتفاقيات تحرير التجارة العالمية ، مرجع سابق ، ص



- (12) نبذة عن العلاقات الروسية السورية [www.arabic.rt.com](http://www.arabic.rt.com)
- (13) التكوين التاريخي للشرق الأوسط ، محاضرة في السياسة في الشرق الأوسط ، تعود للباحث ، 2013م.
- (14) أديب صالح ، العلاقات السورية السوفيتية 1946-1967م ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2012م ، ص 24.
- (15) نفس المرجع ، ص 26.
- (16) تأثيرات ما بعد الحرب العالمية الثانية على منطقة الشرق الأوسط ، محاضرة في مادة السياسة في الشرق الأوسط ، ترجع للباحث ، 2013م.
- (17) ماهو تاريخ العلاقات الروسية السورية [www.ejabat.google.co](http://www.ejabat.google.co)
- (18) العلاقات الروسية السورية ، ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة [www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org)
- (19) نفس المرجع
- (20) نبذة عن العلاقات الروسية السورية ، مرجع سابق
- (21) سامي عيسى ، العلاقات الروسية السورية
- [www.tishreen.news.sy](http://www.tishreen.news.sy)
- (22) نفس المرجع
- (23) نفس المرجع
- (24) نزار عبد القادر ، روسيا والأزمة السورية ، مصالح جيواستراتيجية وتعقيدات مع الغرب ، مجلة الدفاع الوطني ، 2011/4/1م [www.lebarmy.gov](http://www.lebarmy.gov)

- (25) طارق عثمان ، روسيا والثورة السورية : محددات الموقف  
[www.taseel.com](http://www.taseel.com)
- (26) نفس المرجع .
- (27) وليد عبد الحي ، محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية ، مركز للجزيرة للدراسات [www.siis.org](http://www.siis.org)
- (28) نفس المرجع.
- (29) ثامر سباعنة ، سوريا... صراع المصالح  
[www.odabasham.net](http://www.odabasham.net)
- (30) نزار عبد القادر ، روسيا والأزمة السورية ، مصالح جيواستراتيجية وتعقيدات مع الغرب ، مجلة الدفاع الوطني ، مرجع سابق.
- (31) طارق عثمان روسيا والثورة السورية : محددات الموقف ، مرجع سابق.